

محاربات تأثيك من الخارج



بِقَمِ الْبَابَا شَنُودَةُ الثَّالِثُ

نشرته جريدة «وطني» بتاريخ 31-3-1985

حروب من الشيطان

هذه الحروب إما أن تكون من الشيطان مباشرة هو وجنوده الملائكة، وإما أن تكون بواسطة أعوانه من البشر. وحروب الشيطان إما أن تكون بطيئة طويلة المدى، وإما تكون فجائية وعنيفة.

الحروب البطيئة قد لا تشعر بما يجذب بها الشيطان ضحاياه بتدريج طويل، لا يكادون يشعرون فيه بما يحدث لهم.

يُخدرهم قليلاً قليلاً، وينقص من حرارتهم شيئاً فشيئاً على مدى واسع حتى تغير حياتهم وهم لا يدركون ذلك إلا بعد فوات الفرصة، حين يضربهم بعد ذلك ضربته الشديدة وهم غير مستعدين لها.

ولعله بهذه الطريقة حارب سليمان الحكيم، بالترف والمتعة وكثرة النساء ومجاملتهن إلى أن سقط [﴿أمثال 11:8-1﴾](#). وكان سقوطه في زمان شيخوخته.

أما الحروب العنيفة الفجائية، فقد تشبه الظهورات المفزعية، أو الرؤى الكاذبة وأمثال هذه من الضلالات الشيطانية.

ولعل من أمثلة الحروب العنيفة الشيطانية التي حدثت فجأة، التجربة التي أصابت أيوب الصديق **﴿أيوب 1، 2﴾**. ونلاحظ أنها كانت بسم الله، في حدود معينة، وفي طاقة احتمال أيوب، وانتهت بخير وبركة **﴿أيوب 42﴾**. على أن حروب الشيطان ليست كلها فزعاً ومناظر ليست كلها أمراضًا وخراباً. فهناك حروب أخرى من الشيطان بأفكار يلقيها في الذهن، أو شهوات يلقيها في القلب.

وهذه الحروب تكون ضعيفة في أولها، لأنها ليست نابعة من داخل الإنسان، بل هي غريبة عليه وتظل هكذا ضعيفة إلى أن يفتح لها الإنسان باباً لتدخل منه إلى قلبه وإلى مشاعره وهنا يكون قد أخطأ.

وتعتبر خيانة روحية أن تفتح أبوابك لعدو الخير الذي يريد تحطيم ملوكوت الله داخلك.

إنها خيانة للرب الذي رضي أن يدخل بيتك وبيتكم فيه، وأنتم بإرادتكم تدخل عدوكم إلى قلوبكم، ليحل فيه بدلاً من الله.

إنها خيانة للرب الذي اشتراك لنفسه وأحبك حتى المنتهاء، وأستأمنتكم على عمله، وجعل قلوبكم هيكلاً لروحه القدس: **«أَمْ لَسْتُ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هِيَكَلٌ لِّرُوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيهِمُ، الَّذِي لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ؟ لَأَنَّكُمْ قَدْ أَشْتُرَيْتُمْ بِثَمَنٍ اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ»** **﴿كورنثوس 6: 19 و 20﴾**. وهذا أنت تستجيب للشيطان وتفتح له قلبك وتقبل أفكاره المضادة. وفي خيانتك، إذ ترفض عمل النعمة فيك، يقوى عليك الشيطان.

لا تحتاج بأن الحروب الخارجية قوية. إنك تجعلها قوية حينما تستسلم. أما إذا قاومت فسيضعف الشيطان أمامك كقول الرسول: **«قَاتِلُوْمَا إِلَّيْسَ فَيَهُرُبَ مِنْكُمْ»** **﴿يعقوب 4: 7﴾**.

أن القلب القوي الثابت في الله، الأمين في محبته، يستطيع أن يطفئ جميع سهام الشرير الملتئمة **﴿أفسس 7: 16﴾**. عندما تقوى قلب داود بالإيمان، تضاءلت أمامه كل قوة جليات الجبار **﴿1 صموئيل 17: 26﴾**. وعندما قوى قلب موسى النبي، تضاءلت أمامه كل قوى فرعون ولم تخفة أمواج البحر الأحمر. وأنت كلما كان قلبك من الداخل قوياً، لا تضعف مطلقاً أمام حروب الشيطان بل تعزيك كلمة الروح القدس الناطق في الأنبياء: **«مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْجَيْلُ الْعَظِيمُ؟ أَمَامَ زَرْبَابَلَ تَصِيرُ سَهْلَهَا»** **﴿زكريا 4: 7﴾**.

إننا إن ضعفنا نحن، نجعل للشيطان كرامة ليست له، ونجعله يتجرأ علينا بينما يكون هو خائفاً منا في بادئ الأمر! يخيل إلى أن رئيس الشياطين، حينما يرسل شيطاناً من أعوانه لمحاربة أحد المؤمنين، يرتعب هذا الشيطان فيقول: كيف أحارب هذا الإنسان الذي هو صورة الله وهيكل لروحه القدس؟ كيف أحارب هذا الجبار الذي تحيط به ملائكة الله لتنجييه! كيف أتقرب من ابن الله يحمل ترس الإيمان وخوذة الخلاص **﴿أفسس 6: 16، 17﴾**. إن أهرب إن رفع يديه يصلني؛ وكيف أخزى إن طردني قائلاً: اذهب يا شيطان؟

ولعجب هذا الشيطان الضعيف، يرى الإنسان خائفاً منه هارباً أمامه، فيتجرأ عليه ويحتقره...!

فيقص له شعره، كما صنع بشمشون، ويفقد عينيه، ويجعله يجرّ الطاحون، وهو هزة للأطفال **﴿قضاة 16: 19-20﴾**.

لذلك لا تخافوا من الشياطين، لثلا تقوى عليكم. وأنت أيها الإنسان، يا صورة الله، احترم نفسك... مع الشياطين. من أمثلة حروب الشياطين المعروفة حروب الشك في الله، تتبعها حرب أخرى هي اليأس. فلا تخف، هذه الأفكار ليست منك، إنها حرب خارجية لا دخل لك فيها.

الشيطان يلقي إلى ذهنك أفكاراً تشك في وجود الله، وفي محبته وعانته، وأفكاراً ضد فاعلية الصلاة. ثم بعد ذلك يقول لك: كيف تخلص وفي داخلك هذه الأفكار؟ بينما تكون أنت رافضاً أفكار الشك مقاوماً لها، غير راض عنها، بل تصلي أن يرفعها الله عنك. كل هذا يدل على أن هذه الأفكار ليست منك.

إنها حرب بالفكر، وليس سقوطاً بالفكر. حتى إن سقطت إلى لحظات يكون ذلك عن ضعف وليس خيانة للرب والرب يغفر لك.

ونصيحتي لك: امتنع عن القراءات التي تجلب لك الأفكار، وكذلك المعاشرات الرديئة التي توصل إليك هذه الأفكار وأمثالها، فغالباً ما تكون هذه الأفكار وهذه السمعات، هي أسلحة من الشيطان استخدمها لمقاتلتك كن حكيمًا إذن.

وهذا الأمر يقودنا إلى النقطة التالية:

الصداقات الضارة

هذه الصداقات التي تضرك في روحياتك، أو في عقيدتك، أو في فكرك، والتي تتلف قلبك ومشاعرك.. أول سقطة لأمنا حواء، كانت من معاشرة رديئة بجلوسها مع الحية.

وسقطة أخاب الملك كانت بسبب زوجته إيزابيل الشريرة. وكذلك كانت سقطة سليمان الحكيم بسبب زوجاته الأجنبية. لذلك أنصحكم باختيار أصدقائكم الذين ما أسهل أن يؤثروا عليكم بأفكارهم.

وأنصحكم بحسن اختيار شركائكم في الحياة الزوجية لأن لهم تأثيراً بلا شك على حياتكم الروحية بالعلو أو الهبوط والأزواج في تأثيرهم أكثر خطراً وعمقاً من الأصدقاء أو المارف والزماء.

فالصديق قد يلتقي بك في أوقات محددة. أما الزوج فهو شريك الحياة باستمرار. فيجب انتقاوه صالحًا من كل جهة، ليس من الناحية الاجتماعية فحسب، بل أيضاً من النواحي الروحية والعقائدية، وبعمق. ولا يصح الاكتفاء بالشكليات.

وللتذكرة في كل ذلك قول الكتاب: «الْمَعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةِ تُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ الْجَيِّدَةَ» **﴿1﴾** كورنثوس 15: 33. قوله أيضًا: «وَأَعْدَاءُ الْأَنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ» **﴿2﴾** متى 10: 36.

مثال ذلك الآباء والأمهات، حينما يمنعون أولادهم عن الكنيسة والمجتمعات. يل يدعونهم إلى الزينة وإلى الترفهات المتنوعة. ولا يقدمون لهم قدوة صالحة ببيت متدين.

ومثال ذلك الزوج غير المتدين الذي يجر زوجته معه إلى نفس الضياع الذي هو فيه، ويُسخر من تدينها. لذلك قال رب في الإنجيل: «مَنْ أَحَبَّ أَبَا أَوْ أُمًا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحْقُنِي» **﴿3﴾** متى 10: 37.

والإنسان ربما لا يستطيع أن ينفصل عن أقاربه وأهل بيته. ولكن ينبغي أن يحب الله أكثر منهم، ويطيع الله أكثر منهم، ولا يضحي بروحياته أو بدينه من أجل أقربائه.

وللذكر باستمرار قول الرسول: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» **﴿4﴾** أعمال 5: 29.

لا يوجد أعز من الله، ولا أحب من الله. ولا يوجد أهم من مصيرك الأبدي.

ومع ذلك فهناك أشخاص يجب الابتعاد عنهم من الأقارب إن لم يكن ابتعاداً بالجسد، فعلى الأقل يكون الابتعاد عن طريق عدم الاشتراك معهم لا في التصرف، ولا في الحديث، ولا في أي شيء خاطئ.

على أن البعض قد يمنعهم الخجل من البعد عن الخاطئين أقارباً كانوا أم أصدقاء. وبهذا يشتركون في الخطأ بسبب الخجل.

فينبغي للإنسان الروحي أن يعرف أن هناك حدوداً للخجل وأن هناك مواقف تحتاج إلى حزم وإلى قوة شخصية، وإلى تصرف جاد يبعد به عن العثرة ومسبياتها.

لقد صدق المثل القائل: «أسأل عن الرفيق قبل الطريق». فربما يؤثر عليك أحد أقربائك تأثيراً يتلف نفسك أو يدخل إلى قلبك وإلى ذهنك مبادئ وأفكاراً تقود حياتك في اتجاه خاطئ.

اعلم أن قريبك الحقيقي هو الذي يقربك إلى الله، وصديقك الحقيقي هو الذي يكون صديقاً في روح حياته وصادقاً في حفظه لسمعتك وفي اهتمامه بخلاص نفسك.

ننتقل إلى حرب خارجية أخرى هي:

العثرات

العثرة هي كل ما يسقطك من الخارج أو كل ما يجلب لك فكراً خاطئاً، أو شعوراً خاطئاً، أو شهوة خاطئة. وقد تأتي العثرات من السمع أو النظر أو القراءة أو من باقي الحواس.

فعليك أن تتبعد بقدر إمكانك عن العثرات، كما يجب أنك أنت لا تكون عثرة لغيرك.

والعثرات ربما تفرض نفسها علينا وربما نسعى نحن برغبتنا إليها.

التي تفرض نفسها تكون حرباً خارجية، والتي نسعى إليها تكون حرباً داخلية تطلب إشباعاً لها من الخارج. وفيها تجتمع الحربان الداخلية والخارجية. وهذه دينونتها أشد، والنجاة منها أصعب.

والسيد الرب كان حازماً جداً في أمره الإلهي بالبعد عن العثرات، وذلك بقوله: «إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعَثِّرُكَ فَأَقْلِعْهَا وَأَلْفِهَا عَنْكَ... وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعَثِّرُكَ فَأَقْطِعْهَا وَأَلْفِهَا عَنْكَ» **(متى 5: 29 و30)**.

والكثير من الآباء الروحيين يفسرون عثرة العين اليمنى، بالعثرة التي تأتيك من أعز إنسان إليك. أما اليد اليمنى فتشير إلى أكثر الناس مساعدة لك.

وبهذا على الإنسان أن يقطع نفسه عن هؤلاء الأحباء والأعزاء، إن كانت صلته بهم ستؤديه إلى احتراقه وتجلب له حرباً خارجية لا يضمن هل يصمد أمامها أم لا.

المهم أن تتبعد عن الحرب الخارجية مهما كان الثمن، ولا نفع فيها بإرادتك لأنك تصلي كل يوم قائلاً: «وَلَا تُدْخِلَنَا فِي تَجْرِيَةٍ، لِكُنْ نَجِنَا مِنَ الشَّرِّ» **(متى 6: 13)**.

إن هناك عثرات تستهوي الإنسان فيحوم حولها مثلاً تحوم الفراشة حول النار، وتظل تحوم حولها حتى تحرق. ومع أنها ترى فراشات كثيرات قبلها قد احترقت بالنار، إلا أنها لا تهداً حتى تحرق مثلاً...

وقد يوجد من يعثرك ويسقطك. ثم يفلت هو، وتضيع أنت. وقد يمكنه هو أن يتوب، وتجد أنت صعوبة في التوبة. لذلك أحرص بكل قوتك وبكل عمل النعمة فيك، أن تتبعد عن العثرة، وتهرب بذلك من كل حرب خارجية على قدر طاقتك.

ومن مصادر العثرة والحروب الخارجية، أولًا ألوان معينة من القراءات.

القراءات تؤثر في أفكار الإنسان، وتؤثر في مشاعره. وربما تشكل مبادئه، وتقود مساره في الحياة.

وهناك قراءات لا يصح للإنسان أن يقرأها إلا بالاستشارة. وقراءات أخرى واضحة الخطأ يجب عليه الابتعاد عنها تماماً، ولا تحتاج هذه إلى مشورة أو سؤال. وهناك قراءات تجلب شكوكاً أو بلبلة، وأخرى تثير مشاعر وشهوات.

ولا يكفي للإنسان الروحي أن يبتعد عن القراءات الضارة، إنما ينبغي من الناحية الإيجابية أن يقرأ ما يعمق محبته لله، وهذا يكون كعلاج وقائي له في الحروب الخارجية.

وإذا كان الإنسان محارباً بحسب المعرفة، وهو يعلم تماماً أن ليس كل معرفة نافعة، بل قد توجد معارف تفقده بساطته، أو تفقده نقاوته، وتجعل نظرته إلى الأمور تتغير إلى أسوأ. لذلك يجب على كل شخص روحي أن يدقق كثيراً في نوعية قراءاته، حتى لا يجلب على نفسه حروباً.

لأنه من مشاكل القراءة أيضاً أنها تلتصق بالعقل أفكاراً ليس من السهل عليه أن يمحوها وينسها. وقد تحتاج إلى وقت طويل جداً حتى تفارق ذاكرته.

من أسباب الحروب الخارجية أيضاً:

البيئة

ونعني بها الجو العام المحيط به: أفكار البيئة التي يعيش فيها، واتجاهاتها، ونوعية الحياة، والمبادئ السائدة في المجتمع، وأسلوب التعامل، والمفاهيم التي يعتنقها الكل أو الغالبية.

وبالأكثر صعوبة أن يحيا شاذًا عن هذه البيئة بمبادئ روحية لا يفهمونها.

وهكذا يجد البار أنه يعذب نفسه يوماً بعد يوم 《2 بطرس 2:8》，أو على الأقل يبذل جهداً ضخماً ليحتفظ بأسلوبه الروحي في الحياة أو يجد أن منهجه الروحي يعرضه لعديد من الحروب. فماذا يفعل؟

إن كان بإمكانه أن يغير البيئة، فهذا أفضل جداً. وإن لم يستطع فليصمد.. وليجاحد ويغلب والله لن ينسى تعب محبته.

حياتنا هي أن نشهد للحق، إن لم يكن بلساننا، فعلى الأقل بأسلوبنا العملي في الحياة. وقد نصحنا الرسول بولس قائلاً: «وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ» 《رومية 12:2》.

والحياة الروحية يلزمها الجهد والصبر والثبات.

وليثق هذا الإنسان أنه في كل جهاده لا يحارب وحده، بل نعمة الرب تعمل معه. «الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ» 《متى 10:22》.

إن المحاربات الروحية كثيرة وعلينا نحن أن نجاحد ونغلب، وما أكثر النعم التي وهبها الرب للغالبين 《رؤيا 2 و3》.

فجاحد أن تكون من الغالبين، حتى لا تفقد «إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهْبِهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْرَّبُّ الْدَّيَانُ الْعَادِلُ» 《2 تيموثاوس 4:8》. الذي «كُلُّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أَجْرَهُ بِحَسْبِ تَعَبِّهِ» 《1 كورنثوس 3:8》.